

## فتح القدير

قوله : 37 - { إنما النسيء زيادة في الكفر } قرأ نافع في رواية ورش عنه { النسيء } بياء مشددة بدون همز وقرأ الباقون بياء بعدها همزة قال النحاس : ولم يرو أحد عن نافع هذه القراءة إلا ورش وحده وهو مشتق من نسأه وأنسأه : إذا أخره حتى ذلك الكسائي قال الجوهري : النسيء فعال بمعنى مفعول من قوله : نسأت الشيء فهو منسوء : إذا أخرته ثم تحول منسوء إلى نسيء كما تحول مقتول إلى قتيل قال ابن جرير : في النسيء بالهمزة معنى الزيادة يقال : نسا ينسأ : إذا زاد قال : ولا يكون بترك الهمزة إلا من النسيان كما قال تعالى : { نسوا إهنائهم } ورد على نافع قراءته وكانت العرب تحرم القتال في الأشهر الحرم المذكورة فإذا احتاجوا إلى القتال فيها قاتلوا فيها وحرموا غيرها فإذا قاتلوا في المحرم حرموا بدلهم شهر صفر وهكذا في غيره وكان الذي يحملهم على هذا أن كثيراً منهم إنما كانوا يعيشون بالغاره على بعضهم البعض ونهب على ما يمكنهم نهبه من أموال من يغبون عليه ويقع بينهم بسبب ذلك القتال وكانت الأشهر الثلاثة المسرودة يضر بهم توالياً وتشتد حاجتهم وتعظم فاقتهم فيحللون بعضها ويحرمون مكانه بقدره من غير الأشهر الحرم وهذا هو معنى النسيء الذي كانوا يفعلونه وقد وقع الخلاف في أول من فعل ذلك فقيل : هو رجل من بني كنانة يقال له حذيفة بن عتيد ويلقب القلموس وإليه يشير الكنعاني بقوله : .  
( ألسنا الناسيين على معد ... شهور الحل يجعلها حراما ) .  
وفيه يقول قائلهم : .  
( ومنا ناسئ الشهر القلموس ) .

وقيل هو عمرو بن لحي وقيل هو نعيم بن ثعلبة من بني كنانة وسمى إله سبحانه النسيء زيادة في الكفر لأنه نوع من أنواع كفرهم ومعصية من معاصيهم المنضمة إلى كفرهم باه وكتبه ورسله واليوم الآخر قوله : { يضل به الذين كفروا } قرأ أهل الحرمين وأبو عمرو وابن عامر { يضل } على البناء للمعلوم وقرأ الكوفيون على البناء للمجهول ومعنى القراءة الأولى أن الكفار يضلون بما يفعلونه من النسيء ومعنى القراءة الثانية أن الذي سن لهم ذلك يجعلهم ضاللين بهذه السنة السيئة وقد اختار القراءة الأولى أبو حاتم واختار القراءة الثانية أبو عبيد وقرأ الحسن وأبو رجاء ويعقوب { يضل } بضم الياء وكسر الصاد على أن فاعله الموصول ومفعوله مذوق ويحوز أن يكون فاعله هو إله سبحانه ومفعوله الموصول وقرئ بفتح الياء والمضاد من ضل يضل وقرئ نضل بالنون قوله : { يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً } الضمير راجع إلى النسيء : أي يحلون النسيء عاماً ويحرمونه عاماً أو إلى الشهر الذي يؤخرونه ويقاتلون

فيه : أي يحلونه عاماً بإبداله بشهر آخر من شهور الحل يحرمونه عاماً : أي يحافظون عليه فلا يحلون فيه القتال بل يبقونه على حرمته قوله : { ليواطئوا عدة ما حرم أ } أي لكي يواطئوا والمواطأة الموافقة يقال : تواتأ القوم على كذا : أي توافقوا عليه واجتمعوا والمعنى : إنهم لم يحلوا شهراً إلا حرموا شهراً لتبقى الأشهر الحرم أربعة قال قطرب : معناه عمدوا إلى صفر فزادوه في الأشهر الحرم وقرنوه بالمحرم في التحرير وكذا قال الطبرى قوله : { فيحلوا ما حرم أ } أي من الأشهر الحرم التي أبدلواها بغيرها { زين لهم سوء أعمالهم } أي زين لهم الشيطان الأعمال السيئة التي يعملونها ومن جملتها النسيء وقرئ على البناء الفاعل { و أ لا يهدي القوم الكافرين } أي المصريين على كفرهم المستمرين عليه فلا يهدى لهم هداية توصلهم إلى المطلوب وأما الهدایة بمعنى الدلالة على الحق والإرشاد إليه فقد نصبهما أ سبحانه لجميع عباده .

وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي بكر أن النبي صلوات الله عليه خطب في حجته فقال : [ إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق صلوات الله عليه السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مصر الذي بين جمادى وشعبان ] وأخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوه من حديث ابن عمر : وأخرج نحوه ابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردوه من حديث ابن عباس وأخرج نحوه أيضاً البزار وابن حرير وابن مردوه من حديث أبي هريرة وأخرجه أحمد وابن مردوه من حديث أبي حرة الرقاشي عن عممه مرفوعاً مطولاً وأخرج سعيد بن منصور وابن مردوه عن ابن عباس { منها أربعة حرم } فقال : المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة وأخرج أبو الشيخ عن الصحاح قال : إنما سمين حرماً لئلا يكون فيهن حرب وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ابن عباس في قوله : { إن عدّ الشهور عند أثنا عشر شهراً في كتاب أ } ثم اختصر من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرماً وعظم حرماتهن وجعل الدين فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم { فلا تظلموا فيهن أنفسكم } قال : في كلهن { وقاتلوا المشركين كافة } يقول جميعاً وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مقاتل في قوله : { وقاتلوا المشركين كافة } قال : نسخت هذه الآية كل آية فيها رخصة وأخرج الطبراني وأبو الشيخ وابن مردوه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كانت العرب يحلون عاماً شهراً وعاماً شهرين ولا يصيرون الحج إلا في كل عشرين سنة مرة وهي النسيء الذي ذكره صلوات الله عليه في كتابه فلما كان عام حج أبو بكر بالناس وافق ذلك العام فسماه صلوات الله عليه الحج الأكبر ثم حج رسول صلوات الله عليه A من العام المسبق واستقبل الناس الأهلة فقال رسول صلوات الله عليه A : [ إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق صلوات الله عليه السموات والأرض ] وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عمر قال : وقف رسول صلوات الله عليه A بالعقبة فقال : [ إنما النسيء من الشيطان زيادة في الكفر يصل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ] فكانوا يحرمون

المحرم عاماً ويستحلون صفر ويحرمون صفر عاماً ويستحلون المحرم وهي النسيء وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مارديه عن ابن عباس قال : كان جنادة بن عوف الكناني يوا في الموسم كل عام وكان يكنى أبا ثماماً فینادي ألا إن أبا ثماماً لا يخاب ولا يعاب ألا وإن صفر الأول العام حلال فيحله للناس فيحرم صفر عاماً ويحرم المحرم عاماً فذلك قوله تعالى : { إنما النسيء زيادة في الكفر } الآية وأخرج ابن أبي حاتم عنه في الآية قال : المحرم كانوا يسمونه صفر وصفر يقولون صفران الأول والآخر يحل لهم مرة الأول ومرة الآخر وأخرج ابن مارديه عنه قال : كانت النساء حي من بني مالك من كنانة من بني فقيم فكان آخرهم رجل يقال له القلمس وهو الذي أنسأ المحرم